الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
قسم الإعلام – دار اللغة العربية
رقم الإيداع في دار الوثائق
العراقية ١٩٦٣ لسنة ٢٠١٤

www.dawat.imamhussain.org
E-mail: daralarabia@imamhussain.org
mob: +9647827236864 — +96447721458001

الطبيعة الاجتماعية للّغة
في ضوء كلام الإمام جعفر الصادق(عليه السلام)

The Social Nature of Language in Light of the Words of Imam Ja’far Al-Sadiq (A.S)

د. ظافر عبيس الجياشي
جامعة الإمام جعفر الصادق(ع) / المثنى

Dr : Dhafer Obais Al-Jiashi
Imam Ja’far Al-sadiq(A.S)University,Muthana

ملخص البحث

تُعدّ اللغة أرقى ما توصل إليه الانسان، فبواسطتها يتمّ وعي الانسان للأشياء، فلا معرفة من غيرها، ولا علم، ولا فنّ، ولا فلسفة، ولا معاملات، ولا حساب، ولا دين من دونها، فهي ملتقى النشاطات الفردية البعيدة والقريبة في وجود الانسان، وهي من الخصائص التي أختصّ بها الله بني البشر ،فالإنسان وحده القادر على استخدامها نطقاً وكتابة، وهي تميز الانسان عن الحيوانات التي تفتقر الى آلية النطق، بحكم أنّها بنت الفكر الانساني، فاللغة تخدم عملية التفاهم والتحاور والنقاش وتبادل الآراء وتقريب وجهات النظر بين البشر، فمن خلال اللغة التفاهمية نتمكن من أن نتبادل المعلومات فننجح في التواصل فيما بيننا، لذا فهي أساس بناء المجتمع والحضارة.

وقد كان للسادس من أئمة أهل البيت الامام جعفر الصادق (عليه السلام) جهد واضح ،ورأي خاص في اللغة (نشأتها، وطبيعتها، وأهميتها ،وخصائصها، ووظائفها)، فما جاء منه في ما أملاه على تلميذه المفضل الجعفي (ت:١٨٣هـ) في كتاب التوحيد، قد فاق ما جاء به علماء اللغة المتقدمين، والمحدثين، واثبت سبقه في ذلك من جانب، وتساوقه مع ما جاءوا به من جانب آخر .

Abstract

Language is the most sophisticated human achievement ,by means of which human beings can grasp matters. Concepts such as Science, art, philosophy, transactions, judgment, and religion would not be understood to the fullest capacity without language.It is the crossroads of near and distant individual activities of human existence and the characteristic that Allah gives to human beings. Humans utilize speech and writing as a result of Man's thought; therefore, it can distinguish them from animals who lack the vocalization mechanism. Language servers the interaction process, dialogue ,debate and exchange of views and ideas among people. Through language we can share information and succeed in interacting with each other. As a result, language must be the basis when establishing a human society.

The sixth imam of Ahl al-Bayt ,Imam Ja'far Al-Sadiq (A.S) , presented a clear effort and a specific view about language (its origin, nature, and significant characteristics, and functions). What came of his views ,which he taught to his student, Al-Mufadhal Al-Ja'fi (b: 183 higra) in Kitaab Al-Tawheed, exceeded that of previous and even modern linguists , and proved his precedence in this era on one hand, and his conformity with them on the other.

.

المقدمة

اللغة ظاهرة إنسانية عامة، فالإنسان هو الكائن الوحيد القادر على ترجمة أفكاره ونقلها إلى غيره عن طريق الألفاظ والعبارات، أو عن طريق الرموز والإشارات مع وعي هذا الفعل وما يقصد إليه، وهذا ما يعطي الإنسان القدرة على اصطناع اللغة وابتكار رموزها وإشاراتها.

ويُعدّ التواصل- المبني أساساً على اللغة- أحد أهمّ المفاهيم المرتبطة بالإنسان دون غيره من الكائنات، لدرجة يمكن معها القول: إنّ التواصل هو الحياة، ولا يمكن أن يوجد حي من دون تواصل، فهي بالنسبة له وسيلة الاتصال بغيره، وعن طريق اتصاله بغيره يدرك الفرد أغراضه ويحصل على رغباته، كما أنّها وسيلته التي يُعبِّر بها عن آماله وآلامه وعواطفه، لذا تعد اللغة ظاهرة اجتماعية اقتضتها حياة البشر، وقد منح الله تعالى الإنسان قوة العقل والاستعداد للتفاهم والكلام قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[١] فاللغة أهمّ مظهر لوجود الجماعة والمحافظة على كيانها، وهي عنصر ضروري لبقاء وتماسك وحدات المجتمع، فتحفظ تراثه الثقافي، والحضاري وتنقله عبر الأزمان من جيل إلى جيل، كما أنّها رمز المجتمع تدل عليه وتعكس صورته الثقافية، والأخلاقية وصفاته المختلفة، فالألفاظ بدلالاتها تدل على مستوى المجتمع[٢].

من الأشياء التي لا تخفى على من أطلع على تاريخ الاسلام الدور الكبير لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) في كل نواحي الحياة الفكرية، والسياسية ،والاجتماعية، كيف لا وهم عدل الكتاب، وموارد الأمن من الضلالة، والامتداد الروحي للنبوة، وقد كان للسادس من أئمة أهل البيت الامام جعفر الصادق(عليه السلام) جهد واضح ،ورأي خاص في اللغة (نشأتها، وطبيعتها، وأهميتها ،وخصائصها، ووظائفها)، فما جاء منه في ما أملاه على تلميذه المفضل الجعفي(ت:١٨٣هـ) في كتاب التوحيد، قد فاق ما جاء به علماء اللغة المتقدمون، والمحدثون، واثبت سبقه في ذلك من جانب، وتساوقه مع ما جاءوا به من جانب آخر.

أولاً / نشأة اللغة :

لقد ميز الله - سبحانه وتعالى- الإنسان عن سائر البشر بمزايا عديدة ومن أهمها اللغة؛ فلغة الإنسان هي عالمه الذي يعيشه؛ لأنّها رحم فكره، وحافظة معرفته بالكون الذي يحيط به، فحدود لغة الإنسان هي حدود عالمه، فاللغة هي الأم التي تنسج شبكة الوفاق بين أفراد المجتمع، وجماعاته، ونظمه، ومؤسساته، وقيمه، ومعتقداته. وقد تعددت الآراء والفرضيات التي تفسر نشأة اللغة الإنسانية الأولى واختلف الباحثون قديماً وحديثاً في هذا الموضوع وتباينت أراؤهم من اعتماد المعقول والركون الى المنقول. ومن أهمّ هذه الآراء والنظريات، النظريات الآتية:

١- نظرية التوقيف أو (الوحي والإلهام):

يرى أصحاب هذه النظرية أنّ اللغة هبة من الله تعالى، ولا شأن للإنسان بوضعها ، فهي هبة الله إلى أهل الأرض ميّز بها الإنسان عن سائر المخلوقات,

أي إنّها من أصل إلهي وأوّل من قال بهذه النظرية كان الفيلسوف اليوناني هرقليطس(ت: ٤٧٥ ق.م) الذي رأى (أنّ الأسماء تدل على مُسمّياتها بالطبيعة لا بالتواطؤ والاصطلاح، وأنّ هذه الأسماء قد أعُطيت من لدن قوّة إلهيّة لتكون أسماء لمسمَّياتها)[٣].

واستمرّت هذه النظرية في العصور الوسطى، ولاقت قبولاً عند رجال الدين المسيحي، ولم تعد براهين هذه النظرية تعتمد على الأدلّة العقليّة والفلسفيّة فحسب؛ بل أضحت تستمدّ شرعيتها من الكتب السماويّة، فقد جاء في سفر التكوين؛ إذ يقول: (والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول وجميع طيور السماء، ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها, وليحمل كل منها الاسم الذي يضعه له الإنسان, فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول)[٤] .

واستمرّت هذه النظريّة بعد ظهور الإسلام، ومن القائلين بهذه النظرية ابن فارس(ت:٣٩٥هـ) في كتابه الصاحب في فقه اللغة وغيره، ودليل هؤلاء دليل نقلي لا عقلي، قال ابن فارس :(أقول: إنّ لغة العرب توقيف، ودليل ذَلِكَ قوله جلّ ثناؤه: ﴿ وعلَّم أدمَ الأسماء كلَّها﴾[٥] فكان ابن عبّاس يقول: علّمه الأسماء كلّها وهي هذهِ الّتي يتعارَفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار وأشباه ذَلِكَ من الأمم وغيرها)[٦].

ويتابع سرد أدلته قائلاً:(والدليل عَلَى صحَّة ما نذهب إِلَيه إجماعُ العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فِيه أَو يتفقون عَلَيْه، ثُمَّ احتجاجهم بأشعارهم، ولو كَانَتْ اللغة مُواضعَة واصطلاحاً لَمْ يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا فِي الاحتجاج لَو اصطلحنا عَلَى لغة اليوم ولا فرق)[٧]، ثمّ يدفع توهم أنّ اللغة عُلمت دفعة واحدة ،بل كان ذلك بالتدريج، قال:(ولعلَّ ظاناً أن اللغة الَّتِي دلَلنا عَلَى أنّها توقيف إنّما جاءت جملة واحدة وَفِي زمان واحد، وَلَيْسَ الأمر كذلك، بل وقّف الله جلَّ وعزَّ آدمَ (عليه السلام) عَلَى مَا شاء أن يعلمه إياه مما احتاج إِلَى علمه فِي زمانه، وانتشر من ذَلك مَا شاء الله، ثُمَّ علَّم بعد آدم (عليه السلام) من عرَب الأنبياء (صلوات الله عليهم) نبياً نبياً مَا شاء أن يعلمه، حَتَّى انتهى الأمر إِلَى نبيّنا محمد (صلى الله تعالى عَلَيْهِ وآله وسلم)، فآتاه الله جلَّ وعزَّ من ذَلك مَا لَمْ يؤته أحداً قبله، تماماً عَلَى مَا أحسنَه من اللغة المتقدمة، ثُمَّ قر الأمر قراره فلا نعلم لغة من بعده حدثت)[٨]. وتابعه من علماء العربية فيما ذهب إليه من القول بتوقيفيّة اللغة، منطلقاً في ذلك من الآية القرآنيّة ذاتها، أبو علي الفارسي (ت:٣٧٧هـ) [٩] .

أمّا في العصر الحديث فقد انحسرت هذه النظرية نوعاً ما، إلاّ أنّها لم تندثر تماماً، ففي القرن الثامن عشر نادى بها المفكر الفرنسي دي بونالد، الذي رأى أنّ (اللغة ليست تواطئيّة من خلق الإرادة البشرية فالناس لم يتفقوا فيما بينهم على أن يكون ثمّة لغة فكان هناك لغة... فالإنسان لا يقدر على خلق شيء ما لم يكن لديه فكرة صريحة عنه، ولكي يحصل على هذه الفكرة الصريحة ينبغي له أن يعبّر عنها، إذن اللغة واجب وجود لمنشأ اللغة ذاتها، مما يفيد أن

اللغة ليست من عمل القوى البشرية، إنّها من لدن الله)[١٠] .

٢- نظرية محاكاة أصوات الطبيعة:

وتذهب هذه النظرية إلى أنّ أصل اللغة محاكاة أصوات الطبيعة، كأصوات الحيوان، وأصوات مظاهر الطبيعة، والتي تحدثها الأفعال عند وقوعها، وقد عرض ابن جني(ت:٣٩٢هـ) لرأي أصحاب هذه النظرية فقال: (وذهب بعضهم إلى أنّ أصل اللغات كلّها إنّما هو من الأصوات المسموعة، كدويّ البحر، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب ، وصهيّل الفرس، ونزيب الظبي، ونحو ذلك ، ثمّ ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد وهذا عندي وجه صالح ، ومذهب متقبل)[١١]

وتابعت هذه النظرية ظهورها في العصور الحديثة، فتبنّى العالم وتني ما ذهب إليه ابن جنّي بحرفيته تقريباً، إذ رأى (أنّ اللغة نشأت عن طريق محاكاة الإنسان للأصوات الطبيعية التي كان يسمعها حوله)[١٢] .

ويتحمس د. علي عبد الواحد وافي لهذه النظرية، فيقول:(وهذه النظرية هي أدنى نظريات هذا البحث إلى الصحة، وأقربها إلى المعقول، وأكثرها اتفاقًا مع طبيعة الأمور وسنن النشوء والارتقاء الخاضعة لها الكائنات وظواهر الطبيعة الاجتماعية, وهي إلى هذا وذاك تفسر المشكلة التي نحن بصددها, وهي الأسلوب الذي سار عليه الإنسان في مبدأ الأمر في وضع أصوات معينة لمسميات خاصّة, والعوامل التي وجهته إلى هذا الأسلوب دون غيره, ولم يقم أيّ دليل يقيني على خطئها, ولكن لم يقم كذلك أيَّ دليل يقيني على صحتها, وكلّ ما يذكر لتأييدها لا يقطع بصحتها, وإنما يقرب تصورها ويرجح الأخذ بها، ومن أهم أدلتها أنّ المراحل التي تقررها بصدد اللغة الإنسانية تتفق في كثير من وجوهها مع مراحل الارتقاء اللغوي عند الطفل)[١٣] .

٣- نظرية الاتفاق والمواضعة والاصطلاح:

وتذهب إلى أنّ اللغة ابتدعت بالتواضع والاتفاق بين الناطقين بها، إذ كان ارتجال الالفاظ أساساً في بناء اللغة، وأوّل من قال بهذه النظرية كان الفيلسوف اليوناني ديمقريطس(ت: ٣٧٠ ق.م) الذي (أعتبر مَنشَأ اللغة عملية تواطئيّة؛ لأنّ الاسم الواحد ذاته كثيراً ما يقبل عدّة مسميات، ولأنّ الشيء الواحد كثيراً ما يقبل عدّة أسماء، أو قد يتبدّل اسمه ولا يتبدّل هو، وتوسعاً بهذا المبدأ انتهى ديمقريطس إلى القول بأنّ الأسماء تُعطى للأشياء من لدن الإنسان لا من لدن قوّة إلهيّة)[١٤].

على الرغم من سيطرة النظرة الدينية التوقيفيّة في الفكر الإسلامي؛ إلاّ أنّ ذلك لم يمنع بعض اللغويين العرب من القول بالاصطلاح، وهذا ما يبدو جلياً من رأي ابن جنّي إذ قال :(أكثر أهل النظر على أنّ أصل اللغة إنّما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف ،وذلك كأن يجتمع حكيمان، أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجون إلى الإبانة عن الاشياء و المعلومات، فيضعو. لكلّ منها سمة ولفظاً إذا ذكر عرف به ما مسماه ليمتاز من غيره ،وليغنى بذكره عن

احضاره الى مرآة العين، فيكون ذلك أقرب وأخفّ، وأسهل من تكلف إحضاره لبلوغ الغرض في إبانة حاله)[١٥] .

وتابعت هذه النظرية في العصور الحديثة استمراريتها، إذ لاقت قبولاً عند دي سوسير، الذي قرّر أنّ الرابط الجامع بين الدال والمدلول هو اعتباطي، ويبرّر ذلك بأنّ حجته في ذلك إنّما هي الاختلافات القائمة بين اللغات ووجود اللغات المختلفة [١٦]، وتبعه في ذلك كثير من العلماء منهم تراسك الذي ذهب إلى :(أنّه ليس هناك كلمة مناسبة للتسمية أكثر من غيرها، فالكلمة تكون مناسبة وتلقى قبولاً عندما يتفق مستخدموها عليها...إنّ التوصل لقرار بشأن أية كلمة معبرة عن معنى مجرد اتفاق، أو عادة في المقام الأول)[١٧] ،ومن القائلين بها أيضاً آدم سميث ،وستيوارت[١٨] .

هذه خلاصة عن أهمّ النظريات التي حاولت تفسير نشأة اللغة ، وأمّا رأي الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) في ذلك فهو يرى : أنّ النشأة اللغوية اصطلاحية ،فبعد أن يذكر فضل الله على الانسان بالمنطق، والكتابة يقول إنّ: (الكلام إنّما هو شيء يصطلح عليه الناس فيجري بينهم، ولهذا صار يختلف في الأُمم المختلفة بألسن مختلفة)[١٩] ،ثمّ يربط ذلك الاصطلاح بالتغيّر الكتابي للغة ،فيقول:(وكذلك الكتابة ككتابة العربي، والسرياني، والعبراني، والرومي، وغيرها من سائر الكتابة التي هي متفرقة في الأُمم، إنّما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام)[٢٠] .

ويمكن أن يفاد من قول الإمام وما سيتلوه أمور هي :

١- يشير الإمام (عليه السلام) صراحة الى أنّ اللغة اصطلاحية ويحصر هذا القول بـ(إنّما) ،ولعلّ التعبير بـ(يجري) يلائم الاصطلاح اللغوي في كل زمان ومكان، فلكلّ قوم لغتهم التي يصطلحون عليها ويتعارفون بها فيما بينهم ،ويعللّ ذلك باختلاف الألسن في الأمم وكأنّه يشير الى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴾[٢١] .والألسنة في الآية، وفي قول الامام إشارة الى اللغات واختلافها[٢٢]،وما يجري عليها يجري على الكتابة -أي اللغة المكتوبة - .

٢- يلحظ في قوله (عليه السلام) سبقه القائلين بالتفريق بين اللغة، والكلام، واللسان الذي نادى به علماء اللغة المحدثون كسوسير[٢٣] ،فقوله:(الكلام إنّما هو شيء يصطلح عليه الناس) إشارة الى وضع اللغة واصطلاحها ،فاللغة المعينة تكون في صورة منظمة ذات قواعد وقوانين، وذات وجود اجتماعي ينتقل من جيل إلى جيل وليس له تحقق فعلي, ثمّ يشير(عليه السلام) الى الكلام بقوله (فيجري بينهم) دالاً على أنّ الكلام هو كل ما يلفظه أفراد المجتمع المعين الجاري بينهم, أي ما يختارونه من مفردات، أو تراكيب في صورة ممارسة فردية منطوقة، بعدها يشير الى اللسان بقوله:(لهذا صار يختلف في الأُمم المختلفة بألسن مختلفة)؛ لأنّ اللسان هو النموذج الاجتماعي الذي استقرت عليه اللغة، أو هو السلوك السوي لأغلبية عظمى من أبناء الأمة الواحدة لذا عبر

عنه بـ(العربي، والسرياني، والعبراني، والرومي، وغيرها).

٣- ما قيل من فروق بين اللغة والكلام يمكن تلمّسها أيضاً في قول الامام من أنّ :الكلام عمل واللغة حدود هذا العمل، والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك، والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط، والكلام حركة واللغة مظاهر هذه الحركة، والكلام يحسن بالسمع نطقاً والبصر كتابة ،واللغة تفهم بالتأمل في الكلام، والكلام قد يكون عملاً فردياً ولكن اللغة لا تكون إلاّ اجتماعية[٢٤] .

٤- إنّ القول باصطلاحية اللغة كما يذهب إليه الإمام يعني أنّ اللغة تكونت في أحضان المجتمع ،وولدت يوم أحسّ الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم ،ومن احتكاك بعض الاشخاص الذين يملكون أعضاء الحواس، ويستعملون في علاقتهم الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرفهم، والاشارة إذا أعوزتهم الكلمة، والنظرة إذا لم تكفِ الإشارة، فليس من شكّ مهما كانت جنسية المنشأ فله أن يخلق بفطرته لغته الخاصة لحسابه الخاص ،وهذه اللغة تكون بحسب الحاجة إليها[٢٥].

وهذا يعني الإبداعية التي تُعدُّ من أهم خصائص اللغة ،إذ تتكون اللغة الإنسانية من تنظيم كلامي مفتوح غير مغلق، يسمح بإنتاج وفهم عدد من المفردات، والجمل التي لم يسبق للفرد سماع الكثير منها من قبل[٢٦] .

٥- سبق الامام (عليه السلام) علماء العربية المتقدمين القائلين باصطلاحية اللغة كابن جني ،وعلماء اللغة المحدثين كسوسير، فضلاً عن ذلك تقدّم الإمام بنظريته على ابن فارس، وابن جني القائلينِ بدفع توهم أنّ اللغة وضعت دفعة واحدة ،بل بالتدريج ،في ضوء قاعدة الجري التي ذكرها (عليه السلام) (فيجري بينهم) لتلائم وضع اللغة في كل زمان ومكان .

٦- يمكن تفسير قوله تعالى ﴿ وعلَّم أدمَ الأسماء كلَّها ﴾ [٢٧] تفسيراً يحمل على معنى المواضعة الاصطلاحية للغة ،وهذا ما أخذ به ابن جني في (باب القول على أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح): (هذا موضع محوج إلى فضل تأمل غير أنّ أكثر أهل النظر على أنّ أصل اللغة إنّما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف إلاّ أن أبا عليّ (رحمه الله) قال لي يوماً: هي من عند الله واحتجّ بقوله سبحانه: ﴿ وعلَّم أدمَ الأسماء كلَّها ﴾ وهذا لا يتناول موضع الخلاف؛ وذلك أنّه قد يجوز أن يكون تأويله أقدر آدم على أن واضع عليها وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة، فإذا كان ذلك محتملاً غير مستنكَر سقط الاستدلال به وقد كان أبو عليّ (رحمه الله) أيضاً قال به في بعض كلامه)[٢٨] .ورأى بعض المحدثين أنّ التعليم يجوز أن يكون الالهام موافقاً ابن جني في ذلك ،فيقول:(لِمَ لا يجوز أن يكون المراد من التعليم: أنّه تعالى ألهمه الاحتياج الى هذه الألفاظ، وأعطاه من العلوم ما لأجلها قَدَرَ على هذا الوضع)[٢٩] .

وما ذكر قد سبق إليه الامام (عليه السلام) وهو أنّ الله زود الإنسان باستعداد فطري للتعبير عن حاجاته، ومنها اللغة بقوله بعد ذكر وضع اللغة والكتابة:(

فيقال لمن ادعى ذلك: انّ الإنسان وإن كان له في الأمرين جميعاً فعل، أو حيلة فإنّ الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطية، وهبة من الله عزّ وجلّ له في خلقه)[٣٠] .

٧- يمكن أن يفهم ممّا تقدم وما سنذكره من قول للإمام (عليه السلام)، بعد النص أعلاه من التزويد بالاستعداد الفطري ،قوله: (فإنّه لو لم يكن له لسان مهيأ للكلام، وذهن يهتدي به للأمور لم يكن ليتكلم أبداً، ولو لم تكن له كف مهيئة وأصابع للكتابة لم يكن ليكتب أبداً، واعتبر ذلك من البهائم التي لا كلام لها، ولا كتابة فأصل؛ ذلك فطرة الباري جلّ وعزّ وما تفضل به على خلقه، فمن شكر أثيب، ومن كفر فإنّ الله غني عن العالمين)[٣١] إثبات أصالة قوله واسبقيته على ما جاء به علم اللغة الحديث ،وما نادى به العالم اللغوي نعوم جومسكي من تفريقه بين الكفاءة اللغوية والاداء اللغوي[٣٢]، فالكفاءة اللغوية تعني:(القدرة على استخدام اللغة)[٣٣] ،والأداء اللغوي يعني: (التطبيق الفعلي لهذه الكفاءة في الكلام والاستماع)[٣٤] .

وهذا يعني أنّ في نظرية الاصطلاح اللغوي وجود للسمة الانتاجية الإبداعية التي تتصف بها اللغة البشرية، والتي يمكن للإنسان بمقتضاها أن يؤلف ويفهم مفردات، وجملا جديدة غير متناهية لم يسبق له أن سمعها، أو سمعها واضاف إليها تميّز الانسان عن سائر المخلوقات ،وتُعدّ نعمة وفضلاً من الله على بني البشر .

ثانياً / اللغة (تعريفها، طبيعتها، أهميتها ،خصائصها، وظائفها):

تعريفها، طبيعتها:

اللغة هي أعظم قدرة وهبها الله لنا لنتمكن من العيش معها، فهي بحق سرُّ الله في خلقه من بني البشر، فالإنسان أرقى الكائنات الحية، واوسعها ادراكاً، ولسعة ادراكه كثرت حاجاته، فاحتاج الى التعاون مع بني نوعه، ولكن هذا التعاون يحتاج الى تفاهم، وإلى أن يعرف كلُّ من المتعاونين ما عند الاخر وإلاّ تعذر العمل، لذا فهو محتاج الى واسطة ،واللغة هي الواسطة[٣٥] .

وممّا ذكر يجيبنا الإمام الصادق (عليه السلام) عن هذه الواسطة معرفاً بها إذ عدها من مختصات الإنسان التي أنعم بها الباري عزّ وجلّ عليه، فقال مخاطباً تلميذه المفضل بن عمر:

(تأمل يا مفضل ما أنعم الله تقدست أسماؤه به على الإنسان من هذا المنطق الذي يعبّر به عمّا في ضميره، وما يخطر بقلبه، وينتجه فكره، وبه يفهم عن غيره ما في نفسه، ولولا ذلك كان بمنزله البهائم المهملة التي لا تخبر عن نفسها بشيء، ولا تَفهَمُ عن مخبر شيئاً، وكذلك الكتابة التي بها تقيد أخبار الماضين للباقين، وأخبار الباقين للآتين، وبها تخلّد الكتب في العلوم والآداب وغيرها، وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات، والحساب ولولاه لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض، وأخبار الغائبين عن أوطانهم، ودرست العلوم وضاعت الآداب، وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في

أمورهم، ومعاملاتهم، وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم، وما روى لهم ممّا لا يسعهم جهله، ولعلّك تظنّ أنّها ممّا يخلص إليه بالحيلة، والفطنة وليست ممّا أعطيه الإنسان من خلقه وطباعه)[٣٦] .

ففي قول الامام (عليه السلام) أمور عديدة نذكرها :

الأوّل/ دقّة تعريفه للغة ،وتميّزه، وسبقه القائلين بتعريفها من علماء اللغة المتقدمين ،والمحدثين، فالمتقدمون كابن جني حدّ اللغة بأنّها:(أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم)[٣٧] .

وهذا التعريف دقيق يذكر فيه كثيرا من الجوانب المميزة للغة، إذ أكدّ ابن جني على الطبيعة الصوتية للغة، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر، وذكر أيضاً أنّها تستخدم في مجتمع، فلكل قوم لغتهم[٣٨]. ويعرفها ابن خلدون(ت:٨٠٨هـ) بأنّها:(ترجمان عمّا في تلك المعاني، يؤديها بعض إلى بعض بالمشافهة في المناظرة والتعليم، وممارسة البحث في العلوم؛ لتحصيل ملكتها بطول المران على ذلك)[٣٩]، ونجد تعريف أبي الحسن الجرجاني(ت:٨١٦هـ) لا يبتعد كثيراً عن تعريف ابن جني إذ عرّفها بقوله:(هي ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)[٤٠]

أمّا المحدثون، فمن العلماء الغربيين دي سوسير ولا يعدو في تعريفه اللغة أبعد ممّا ذهب إليه ابن جنيّ، إذ عرفها بأنها:(نظام من الرموز الصوتية، أو مجموعة من الصور اللفظية تختزن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية ، وتستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معين، ويتلقاها الفرد عن الجماعة التي يعيش معها عن طريق السماع)[٤١] ،وهي عند هنري سويت(التعبير عن الافكار بواسطة الاصوات الكلامية المؤتلفة في كلمات)[٤٢] ،ونجد سابير يذهب المذهب نفسه إذ يقول:(وسيلة إنسانية خالصة، وغير غريزية اطلاقاً لتوصيل الافكار، والانفعالات، والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة ارادية)[٤٣] .

وتؤكد كلُّ هذه التعريفات الطبيعة الصوتية للغة، والوظيفة الاجتماعية لها، وتنوع البنية اللغوية من مجتمع إنساني لآخر، غير أنّ الامام فيما ذُكِرَ قد فاقهم في تعريفه إذ أشار إلى أنّ اللغة صوتية وكتابية ،من خلال ذكرة للكتابة وأهميتها، ويمكن أن نصوغ تعريفاً للغة من كلام الامام السابق، فاللغة عنده (عليه السلام) تعني :

(الكلام المنطوق، أو المكتوب الذي يعبّر به الانسان عمّا في ضميره، وما يخطر بقلبه، وينتجه فكره، وبه يَفهَمُ عن غيره ما في نفسه، وتقييد أخباره، وتخليد علومه، وآدابه، ومعاملاته وحساباته، وما يحتاجه في أمر دينه).

الآخر/ أهميتها ،خصائصها، وظائفها :

تُعدّ اللغة منظومة متكاملة للتفاهم، والتداول، والتواصل بين بني البشر، وتشتمل على جملة من الوظائف المهمة في حياتهم، باعتبارها أكبر وسيلة للتفاهم بينهم على مرّ العصور، فبدأ العلماء يحللون ما يحيط بهم تحليلاً واعياً، و يلاحظون ما يحيط بهم من علاقات متبادلة بين اللغة ومختلف النشاطات الإنسانية الأخرى، ويسجلون تأملاتهم، وملاحظاتهم عن دور اللغة في المجتمع، فهي ضيف لا يمكن

الاستغناء عنه في مجالات الحياة الاجتماعية كافة على حدٍ سواء للفرد أم للمجتمع، وهي تقوم بتأدية سلسلة متداخلة ومتكاملة، وتشبع حاجيّات الفرد والمجتمع على السواء.

وممّا لا شك فيه أنّ اللغة لها وظائف عديدة، تتضاعف هذه الوظائف مع تعقد الحياة، وتعدد قنوات الاتصال، وأهم هذه الوظائف التي يمكن أن نستنبطها من كلام الامام الصادق(عليه السلام) هي:

١- الوظيفة التعبيرية:

يمكن تلمس هذه الوظيفة من قوله (عليه السلام):(هذا المنطق الذي يعبّر به)، لاشكّ أنّ وظيفة اللغة الأساسية هي: التعبير عن الاحاسيس، وتبليغ الافكار من المتكلم الى المخاطب فهي بهذا الاعتبار وسيلة للتفاهم بين البشر وأداة لا غنى عنها للتعامل بها في حياتهم، إذ يتمكن الإنسان عن طريق استخدامه للغة التي يتعامل بها من التعبير عن أفكاره، وأحاسيسه، ومشاعره، وما يختلج في نفسه، أي التعبير عن حاجات الفرد والمجتمع المختلفة، وبها يقوم المتكلم، أو المُرْسِل بالتعبير عمّا يريده من خلال الأصوات، والكتابة التي تسمح بها اللغة المستخدمة عبر الأسلوب التّعبيري المباشر عن طريق الصوت، أو الاشارة، أو الايماء، أو غير المباشر كالكتابة، فيعبر بذات الوقت عن شخصيَّته من خلال الحيويَّة التي يستخدم فيها المفردات اللغويَّة [٤٤].

٢- الوظيفة الفكرية (الانتاجية) :

ومصداق ذلك قوله (عليه السلام):(يعبّر به عمّا في ضميره، وما يخطر بقلبه، وينتجه فكره) فمن أهمّ الخصائص التي تميز اللغة البشرية عن لغة الحيوانات ما يعرف بالإنتاجية التي تعني أن المتكلمين يستطيعون أن ينطقوا بتركيبات لم يسبق لهم أن سمعوها من قبل، فالانسان يمتاز عن سائر الحيوانات بالفكر والقدرة على التصور والتخيل والتحليل والتركيب، واللغة في الحقيقة لا غنى للإنسان عنها فهي الوسيلة لإبراز الفكر من حيز الكتمان الى حيز التصريح، وهي أيضاً عماد التفكير الصامت والتأمل، ولولاها لما استطاع الانسان أنّ يسير نحو الحقائق حينما يسلط عليها أضواء فكره، فاللغة تسهم بقسط كبير في دعم عملية التفكير والتأمل، والمراجعة الفكرية لدى كل فرد من أفراد المجتمع بالإضافة إلى دورها في الإسهام بتقديم الحلول لمختلف المشاكل التي يواجهها الناس في حياتهم اليومية، أي أنَّ اللغة ضرورية للإنسان ليتمكن من صياغة أفكاره وبلورتها، فبواسطتها يقوى على صياغة ما يريد قوله ويعبّر من خلالها عما يدور في أعماقه، وبها يسجل أفكاره وتأملاته، وللغة دور مهم في عملية تحليل الأفكار وردها إلى العناصر الأساسية التي تتكون منها وربطها بالمعطيات المكملة للموضوع المثار، فضلاً عن قيامها بزيادة المخزون الفكري للإنسان، ولها دور فعّال في عملية تحديد وترتيب وإعادة ترتيب الأفكار لكلّ فرد، ولولا وجود اللغات لما أستطاع الإنسان من تحليل أفكاره أو الإفصاح عنها[٤٥].

٣- الوظيفة الإفهامية:

ودليل ذلك قوله (عليه السلام):(وبه يفهم عن غيره

ما في نفسه) وجدت اللغة يوم أحسّ الانسان بالحاجة الى التفاهم فيما بينه وبين بني جنسه، ونتج عن ذلك أن أصبحت من أقوى العوامل التي تربط أفراد المجتمع الانساني ،فاللغة لا تحيا إلاّ في ظل المجتمع، فهي نشاط اجتماعي؛ لأنّها استجابة ضرورية لحاجة الاتصال بين الناس، فاللغة تخدم عملية التفاهم والتحاور والنقاش وتبادل الآراء وتقريب وجهات النظر بين البشر، وهي بحق أكبر واسطة للتفاهم بين البشر على مرّ العصور، فمن خلال اللغة التفاهمية نتمكن تبادل من المعلومات فننجح في التواصل فيما بيننا، لذا فاللغة أساس بناء المجتمع والحضارة؛ لأنّ بها فقط نتفق، أو نختلف علماً بأنّها الأداة الناجحة في إيصال المعلومات وتلقيها، للتعبير عن الأفكار، والمشاعر، والوقائع، والحقائق[٤٦].

٤- الوظيفة التواصلية (التفاعلية) :

ونلحظ ذلك في قول الامام (عليه السلام):(ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة التي لا تخبر عن نفسها بشيء، ولا تفهم عن مخبر شيئاً) فاللغة هي القدرة على التعبير والتواصل بواسطة مجموعة من العلامات المتمايزة، فلا يمكن لفرد أن يتكلم لغة بني جنسه ما لم تكن له القدرة على استعمال العلامات من أجل التواصل معهم ، وهي من الأمور التي خصّ بها الله بني البشر ،فالإنسان وحده القادر على استخدامها نطقاً وكتابة، وهي تميز الانسان عن الحيوانات التي تفتقر الى آلية النطق، بحكم أنها بنت الفكر الانساني، فالإنسان يعي ما يقول بعكس الحيوانات، حتى لو امتلكت أعضاء النطق لا تستطيع ذلك، فاللغة تستخدم للتفاعل مع الآخرين في العالم الاجتماعي باعتبار أنَّ الإنسان كائن اجتماعي لا يستطِع الفكاك من أسر جماعته، فتؤدي اللغة وظيفة نقل المعلومات وتبادل المعارف، والمشاعر، والأخبار، وإرساء دعائم التفاهم والحياة المشتركة بين البشر وتخدم التواصل اليومي بين أفراد المجتمع، وهذا يتم في حالة تواجد عامل مشترك بين المرسِل والمرسَل إليه، وهي بذلك تحدد حجم مشاركة الفرد كما تحدد مقدار نجاحه في الحياة العملية والاجتماعية [٤٧].

٥- الوظيفة التقييدية الإخبارية(التوثيقية) :

ودليل ذلك قول الامام (عليه السلام):(بها تقيّد أخبار الماضين للباقين، وأخبار الباقين للآتين.... - ولولاها لانقطعت - أخبار بعض الأزمنة عن بعض وأخبار الغائبين عن أوطانهم)، يتحقق الاتصال اللفظي في شكلين متميزين أحدهما: اللغة المنطوقة (الكلام)، والآخر: هو الصورة المكتوبة، ولكي يحدث التخاطب فإنّ المستقبل(المستمع أو القارئ) ينبغي أن يفهم ما يقوله المتكلم أو يكتبه الكاتب، فالمفاهيم تنتقل من المتكلم الى السامع ومن الكاتب الى القارئ عن طريق اللغة، فبها يستطيع الفرد أن ينقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى أقرانه، بل ينقل المعلومات والخبرات إلى الأجيال المتعاقبة؛ لأنّها ذاكرة الشعوب والأفراد، فعن طريقها نحفظ خلاصة فكر الأمة وتراثها، كما تتضمن التاريخ بكل وقائعه وأحداثه، وكل شيء يتعلق بالمجتمع الإنساني فضلاً عن أنّها تحفظ للأفراد ذكرياتهم وخواطرهم وأفكارهم، فاللغة المكتوبة هي وسيلة اجتماعية، وأداة اتصال لغوية

عن طريقها تسجل الأمم والشعوب تاريخها وقوانينها ونظمها، إنّها تحافظ على المعلومات والافكار من الضياع وتضمن لها البقاء والاستمرار ، فالأفكار تنفلت وتتناثر إن لم تقيد بالكتابة ، وقالوا قديماً : (قيدوا العلم بالكتابة)[٤٨] وهذا يعني أن اللّغة مرتبطة بالحياة, ومتولدةٌ منها, سواء أكانت منطوقة أمْ مكتوبة [٤٩].

٦- الوظيفة التخليدية (النفعية):

ومصداق ذلك قوله (عليه السلام):(بها تُخلّد الكتب في العلوم والآداب وغيرها... - ولولاها - لدرست العلوم، وضاعت الآداب) كما أنَّ اللغة تحفظ تراث المجتمع الثقافي والحضاري وتنقله عبر الأزمان من جيل إلى جيل، فهي رمز المجتمع تدل عليه وتعكس صورته الثقافية، والأخلاقية وصفاته المختلفة، وهي سجل الحياة الكامل، بسلبها وايجابها، فبعد أن امتلك الإنسان ناصية اللغة كوسيلة للنقل والتفاهم الانساني، أخذ يبحث عن آفاقها والتي هي بالأساس آفاقه ورؤاه التي صبها في قارورة اللغة الواسعة فدخل عهد الخلاقية في اللغة وأبدع هذا الإنسان، وأنتج روائع أدبية ولغوية، وعلمية اعتبرت إحدى مآثره العظيمة في التاريخ، فأخذ يدونها كي لا تنسى لتنتفع بها الاجيال القادمة، ويُرجِع علماء اللغة المحدثون الاهتمام باللغة المكتوبة لتفردها بميزتين هما:

أ - انتقالها من مكان الى مكان آخر عبر مسافات بعيدة .

ب -إنّها تكاد تكون ثابتة ولا تتعرض للتغيير المستمر الذي يصيب لغة الحديث، وهذا يعني ثبوتها وخلودها على مرّ العصور والدهور[٥٠] .

٧- الوظيفة التنظيمية (الحافظة):

ونلحظ ذلك في قول الامام (عليه السلام):(بها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات، والحساب ... – ولولاها - لعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم، وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم) تُعدّ اللغة ارقى ما توصل إليه الانسان، فبواسطتها يتمّ وعي الانسان للأشياء، فلا معرفة من غير لغة، ولا علم، ولا فنّ، ولا فلسفة، ولا معاملات، ولا حساب، ولا دين من غير لغة، فهي ملتقى النشاطات الفردية البعيدة والقريبة في وجود الانسان، وهي أهمّ وسيلة لحفظ الحقوق، بحسب ما جاء في القرآن عند ذكر أهمّ قوانين المعاملات بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلْ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنْ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا ﴾[٥١]، فقد اوضحت الآية أهمية الكتابة (اللغة المدونة) في حفظ حقوق الأفراد، وأنّها الشيء الوحيد الذي يبرئ الذمم في أي اتفاق بين شخصين،

أو أكثر فيما يتعلق بالدَّين، فالقرآن أمر باستخدام اللغة المكتوبة؛ لأهميتها في حفظ الحقوق، وهي كذلك من أهمّ وسائل التعبير عن المعاملات بين الدول، والحكومات، والمنظمات، فيتمّ من خلالها تبادل الأفكار، والمعلومات والرسائل الرسمية، وتوثيق المعاهدات والاتفاقيات، بل هي الوسيلة الوحيدة المستخدمة في المؤسسات، والدوائر الحكومية في تسيير شؤون الحكم والإدارة، والقضاء والتشريع، والتمليك، والتجارة، والإجازات، وشهادات المواليد، والأحكام، والوفيات، والإجازات العلمية والدراسية ... وغيرها[٥٢].

الخاتمة

لقد ميز الله - سبحانه وتعالى- الإنسان عن سائر البشر بالعديد من المزايا ومن أهمها اللغة؛ فلغة الإنسان هي عالمه الذي يحياه؛ لأنّها رحم فكره، وحافظة معرفته، وتُعدّ اللغة أرقى ما توصل إليه الانسان، فبواسطتها يتمّ وعي الانسان للأشياء، فلا معرفة من غير لغة، ولا علم، ولا فنّ، ولا فلسفة، ولا معاملات، ولا حساب، ولا دين من غير لغة، فهي ملتقى النشاطات الفردية البعيدة والقريبة في وجود الانسان، فحدود لغة الإنسان هي حدود عالمه، فهي الأم التي تنسج شبكة الوفاق بين أفراد المجتمع، وجماعاته، ونظمه، ومؤسساته، وقيمه، ومعتقداته. وقد تعددت الآراء والفرضيات التي تفسر نشأة اللغة الإنسانية الأولى واختلف الباحثون قديماً وحديثاً في ذلك، وأهمّ النظريات في ذلك: التوقيفية، ومحاكاة أصوات الطبيعة، والاتفاق والمواضعة والاصطلاح.

وقد كان للإمام جعفر الصادق(عليه السلام) نظرة جادّة، ورأي خاص في اللغة (نشأتها، وطبيعتها، وأهميتها، وخصائصها، ووظائفها)، يمكن أن نعدّها متقدمة على ما جاء به علماء اللغة المتقدمون، وسابقة لهم في هذا المجال اللغوي من جانب، فضلاً عن ذلك أنّها تتماشى مع ما تبنوه من آراء لغوية حديثة من جانب آخر، وتمثل ذلك في :

أولاً / نشأة اللغة :

١- فهو يرى :أنّ النشأة اللغوية اصطلاحية، فلكلّ قوم لغتهم التي يصطلحون عليها ويتعارفون بها فيما بينهم ،ويعللّ ذلك باختلاف الألسن في الأمم .

٢- سبقه للقائلين بالتفريق بين اللغة، والكلام، واللسان الذي نادى به علماء اللغة المحدثون كسوسير .

٣- إنّ القول باصطلاحية اللغة الذي ذهب إليه الإمام يعني أنّ اللغة قد تكونت في أحضان المجتمع ،وولدت يوم أحسّ الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم، وهذا يعني الإبداعية التي تُعدُّ من أهم خصائصها، إذ تتكون اللغة الإنسانية من تنظيم كلامي مفتوح غير مغلق، يسمح بإنتاج وفهم عدد من المفردات، والجمل التي لم يسبق للفرد سماع الكثير منها من قبل .

٤- قد سبق الامام (عليه السلام) علماء العربية المتقدمين القائلين باصطلاحية اللغة كابن جني، وعلماء اللغة المحدثين كسوسير ، فضلاً عن تقدّم الإمام بنظريته على ابن فارس، وابن جني القائلينِ بدفع توهم أنّ اللغة وضعت دفعة واحدة ،بل بالتدريج ،في ضوء قاعدة الجري التي ذكرها؛ لتلائم وضع اللغة في كل زمان ومكان .

٥- إثبات أصالة قول الامام (عليه السلام)، واسبقيته على ما جاء به علم اللغة الحديث ، وما نادى به العالم اللغوي نعوم جومسكي من تفريقه بين الكفاءة اللغوية والاداء اللغوي، وهذا يعني أنّ في نظرية الاصطلاح اللغوي وجود للسمة الانتاجية التي تتصف بها اللغة البشرية .

ثانياً / اللغة(تعريفها، طبيعتها، أهميتها ،خصائصها، وظائفها):

أ- تعريفها، طبيعتها:

إنّ اللغة هي أعظم قدرة وهبها الله لنا لنتمكن من العيش معها، فهي بحق سرُّ الله في خلقه من بني البشر، فالإنسان أرقى الكائنات الحية، وأوسعها ادراكاً، ولسعة إدراكه كثرت حاجاته، لذا فهو محتاج إلى واسطة ،واللغة هي الواسطة والإمام الصادق (عليه السلام) يعرب عن هذه الواسطة معرفاً بها إذ عدها من مختصات الإنسان التي أنعم بها الباري عزّ وجلّ عليه .

وقد ثبت دقّة تعريف الإمام للغة، وتميّزه، وسبقه للقائلين بتعريفها من علماء اللغة المتقدمين ،والمحدثين، كابن جني، وابن خلدون ،وأبي الحسن الجرجاني من المتقدمين ،وسوسير ،وسويت ،وسابير من المحدثين. وأمكننا أن نستخلص تعريفاً للغة من كلام الامام، فاللغة عند الإمام الصادق(عليه السلام) تعني :(الكلام المنطوق، أو المكتوب الذي يعبّر به الانسان عمّا في ضميره، وما يخطر بقلبه، وينتجه فكره، وبه يَفهَمُ عن غيره ما في نفسه، وتقييد أخباره، وتخليد علومه، وآدابه، ومعاملاته وحساباته، وما يحتاجه في أمر دينه).

ب- أهميتها ،خصائصها، وظائفها :

تُعدّ اللغة منظومة متكاملة للتفاهم، والتداول، والتواصل بين البشر، وتشتمل على جملة من الوظائف المهمة في حياة البشر، بوصفها أكبر وسيلة للتفاهم بينهم على مرّ العصور، وممّا لا شك فيه أنّ لها وظائف، تتضاعف مع تعقد الحياة، وتعدد قنوات الاتصال، وقد كان للإمام الصادق(عليه السلام) نظرة في أهمّ وظائفها ،التي تتماشى مع متطلبات العصور . وأهم هذه الوظائف :

١- الوظيفة التعبيرية: فاللغة وسيلة للتفاهم بين البشر وأداة لا غنى عنها للتعامل بها في حياتهم، إذ يتمكن الإنسان من خلالها التعبير عن أفكاره، وأحاسيسه، ومشاعره، وما يختلج في نفسه، أي التعبير عن حاجاته .

٢- الوظيفة الفكرية (الانتاجية) : الانسان يمتاز عن سائر الحيوانات بالفكر، والقدرة على التصور، والتخيل، والتحليل، والتركيب، واللغة لا غنى للإنسان عنها، فهي الوسيلة لإظهار الفكر من حيز الكتمان الى حيز التصريح، فيتمكن من خلالها صياغة أفكاره وبلورتها، وما يريد قوله وعما يدور في أعماقه، وما تسجله أفكاره وتأملاته .

٣- الوظيفة الإفهامية: وجدت اللغة يوم أحسّ الانسان بالحاجة الى التفاهم فيما بينه وبين بني جنسه، فهي استجابة ضرورية لحاجته، فمن خلالها نتمكن من تبادل المعلومات والتواصل فيما بيننا، فهي أساس بناء المجتمع والحضارة؛ لأنّ بها فقط نتفق، أو

نختلف .

٤- الوظيفة التواصلية (التفاعلية) : في اللغة القدرة على التعبير والتواصل بواسطة مجموعة من العلامات المتمايزة، وهي من الأمور التي أختصّ بها الله بني البشر ،فالإنسان وحده القادر على استخدامها نطقاً وكتابة، وهي تميز الانسان عن الحيوانات التي تفتقر إلى آلية النطق، بحكم أنّها بنت الفكر الانساني .

٥-الوظيفة التقييدية الإخبارية(التوثيقية) :اللغة المكتوبة هي وسيلة اجتماعية، وأداة اتصال لغوية عن طريقها تسجل الأمم والشعوب تاريخها وقوانينها ونظمها، فهي تحافظ على المعلومات والافكار من الضياع وتضمن لها البقاء والاستمرار فعن طريقها نحفظ خلاصة فكر الأمة وتراثها، كما تتضمن التاريخ بكل وقائعه وأحداثه، وكل شيء يتعلق بالمتجمع الإنساني

٧-الوظيفة التخليدية (النفعية): كما أنَّ اللغة تحفظ تراث المجتمع الثقافي والحضاري، وتنقله عبر الأزمان من جيل إلى جيل، فهي رمز المجتمع تدلّ عليه وتعكس صورته الثقافية، والأخلاقية وصفاته المختلفة، وهي سجل الحياة الكامل، فعن طريق اللغة أبدع الإنسان، وأنتج روائع أدبية ولغوية، وعلمية اعتبرت إحدى مآثره العظيمة في التاريخ، فأخذ يدونها كي لا تنسى لتنتفع بها الاجيال القادمة.

الهوامش

١- الرحمن:١-٤ .

٢- ينظر: علم اللغة بين القديم والحديث، د. عبدالغفار حامد هلال:٥ .

٣- دراسات في فقه اللغة ،محمد الانطاكي: ٤٧ ،وينظر: علم اللغة الاجتماعي عند العرب ، د. هادي نهر:٦٠ .

٤- علم اللغة ،د. علي عبد الواحد وافي:٩٨،وينظر:العربية خصائصها وسماتها، د. عبدالغفار حامد هلال:٢٥

٥- البقرة/٣١ .

٦- الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس:٣٦ .

٧- المصدر نفسه:٣٧ .

٨- المصدر نفسه:٣٧ .

٩- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي:١٤/١ .

١٠- في فلسفة اللغة، كمال يوسف الحاج: ٢٦.، وينظر: العربية خصائصها وسماتها:٢٤ .

١١- الخصائص ابن جني: ١/ ٤٦ – ٤٧.

١٢- دراسات في فقه اللغة:٥٣،وينظر:فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري:٣٠ .

١٣- علم اللغة:١٠٥ .

١٤- دراسات في فقه اللغة :٤٨ .

١٥- ينظر: الخصائص (بتصرف):٤٠/١-٤٤ .

١٦- ينظر:علم اللغة العام ،دي سوسير:٨٧-٩٧ .

١٧- أساسيات اللغة، تراسك :٢٣ .

١٨- فقه اللغة مناهله ومسائله ، د. محمد أسعد النادري:٢٨ .

١٩- بحار الأنوار، العلامة المجلسي:٨٢/٣ .

٢٠- المصدر نفسه:٨٢/٣ .

٢١- الروم :٢٢ .

٢٢- ينظر: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي:٥٤/٨،ومعجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ، د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم :١٧٤/٣ .

٢٣- ينظر: علم اللغة العام :٢٦-٣٣ .

٢٤- ينظر: مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان:٣٥ .

٢٥- اللغة ، فندريس:٣٥ .

٢٦- ينظر: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ،د. جمعة سيد يوسف:٣٩ .

٢٧- البقرة/٣١ .

٢٨- الخصائص:١/٤٠-٤١ .

٢٩- نظرية اللغة في النقد العربي، د. عبد الحكيم راضي :٩٢ .

٣٠- بحار الأنوار :٨٢/٣ .

٣١- بحار الأنوار :٨٢/٣ .

٣٢- ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول الى نعوم جومسكي ،بريجيته بارتشت:٢٨٧ .

٣٣- سيكولوجية اللغة والمرض العقلي :٤٢.

٣٤- المصدر نفسه :٤٢ .

٣٥- ينظر: الأنثروبولوجيا اللغوية، مها محمد فوزي :١١ .

٣٦- بحار الأنوار :٨٢/٣ .

٣٧- الخصائص : ١/ ٣٣

٣٨- ينظر: علم اللغة العربية، د. محمود فهمى حجازي:٩.

٣٩- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون:١٢٦٠/٣ .

٤٠- التعريفات، الجرجاني:٢٤٧ .

٤١- علم اللغة، د. حاتم الضامن:٣٢ .

٤٢- العلاقة بين اللغة والفكر، د. أحمد عبد الرحمن حماد:٤٩ .

٤٣- المصدر نفسه:٤٩ .

٤٤- ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري:١٢،والتواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزبر:٣٥ . .

٤٥- ينظر: اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، د. سمير شريف استستية:٦٧٧،والتواصل اللساني والشعرية:٣٩ .،العربية وعلم اللغة الحديث ،د. محمد داوود:٤٩.

٤٦- ينظر: علم اللغة بين القديم والحديث :٥ ،والتداولية اليوم علم جديد في التواصل،روبول، وموشلار :١٤.

٤٧- ينظر: اكتساب وتنمية اللغة، د. خالد الزواوي:١٣-١٤ ،ومعرفة اللغة ،جورج يول:٣٢ ،ومدخل الى اللسانيات، د. محمد محمد يونس:٣٥ ..

٤٨- بحار الأنوار :١٢٤/٥٨ .

٤٩- ينظر:سيكولوجية اللغة والمرض العقلي :٥٠ ،٥٧،واللغة والتفكير، د. حسن مرضي:٢١ .

٥٠- ينظر: الكتابة العربية مهاراتها وفنونها، د. محمد رجب النجار :١٦ ،وسيكولوجية اللغة والمرض العقلي :٥١ ،ودراسات في علم اللغة ،د. صلاح الدين حسنين:٤٠.

٥١- البقرة :٢٨٢ .

٥٢- ينظر: الكتابة العربية مهاراتها وفنونها:٢٣ ،واللغة والفكر والعالم، د. محي الدين محسب:٣١-٣٢ ،وسلطان اللغة ، د. محمد الشهري:٩.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- أساسيات اللغة، تراسك ،ترجمة رانيا ابراهيم ،ط/١،المجلس الاعلى للثقافة – مصر ،٢٠٠٢م .

٢- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط/١ ،دار الكتاب الجديد – بيروت، ٢٠٠٤م .

٣- اكتساب وتنمية اللغة، د. خالد الزواوي، ط/١ ،مؤسسة حورس الدولية- مصر ،٢٠٠٥ .

٤- الأنثروبولوجيا اللغوية، مها محمد فوزي، ط/١ ،دار المعرفة الجامعية – مصر ،١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

٥- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي ،(ت :١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء ،بيروت - لبنان،١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٦- التداولية اليوم علم جديد في التواصل،روبول، وموشلار ،ترجمة د. سيف الدين دغفوس ،و د. محمد الشيباني ،ط/١ ،دار الطليعة – بيروت ،٢٠٠٣م .

٧- التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ،(ت: ٨١٦هـ)،تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط١، دار الكتاب العربي - بيروت ، ١٤٠٥هـ .

٨- التواصل اللساني والشعرية، الطاهر بن حسين بومزبر، ط/١ ، منشورات الاختلاف – الجزائر ،١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

٩- الخصائص ،أبو الفتح عثمان ابن جني (ت:٣٩٢هـ)، تحقيق : محمد علي النجار ، د. ط ، عالم الكتب – بيروت ،د.ت.

١٠- دراسات في علم اللغة ،د. صلاح الدين صالح حسنين، ط/١ ،دار العلوم للطباعة والنشر – السعودية ،١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .

١١- دراسات في فقه اللغة ،محمد الانطاكي ، ط/٤ ،دار الشرق العربي – بيروت ،١٩٦٩م .

١٢- سلطان اللغة ، د. محمد بن ناصر الشهري، ط/١،مدار الوطن للنشر- السعودية ،١٤٣٣هـ -٢٠١٢م .

١٣- سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ،د. جمعة سيد يوسف، ط/١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ،١٩٩٠ .

١٤-الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس(ت:٣٩٥هـ) تحقيق،د.عمر فاروق الطباع،ط/١ ،مكتبة المعارف – بيروت ،١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م .

١٥- العربية خصائصها وسماتها، د. عبد الغفار حامد هلال ،ط/٥، مكتبة وهبة- مصر،١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م .

١٦- العربية وعلم اللغة الحديث ،د. محمد محمد داوود ، ط/١ ، دار غريب – مصر، ٢٠٠١م .

١٧- العلاقة بين اللغة والفكر، د. أحمد عبد الرحمن حماد، ط/١ ،دار المعرفة الجامعية – مصر -١٩٨٥م .

١٨- علم اللغة، د. حاتم الضامن ،ط/١ ،مطبعة التعليم العالي بالموصل – العراق ،١٩٨٩ .
١٩- علم اللغة ،د. علي عبد الواحد وافي ،ط/٩ ،نهضة مصر للطباعة والنشر ،٢٠٠٤م .
٢٠- علم اللغة الاجتماعي عند العرب، د. هادي نهر ،ط/ ،جامعة المستنصرية- العراق، ١٤٠٨،١ هـ -١٩٨٨م .
٢١- علم اللغة بين القديم والحديث، د. عبد الغفار حامد هلال ،ط /٢،مطبعة الجبلاوي – مصر،١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٢٢- علم اللغة العام ،فرديناند دي سوسير،ترجمة ،د.يوئيل يوسف عزيز ،مراجعة ،د. مالك المطلبي ،ط/١ ،دار أفاق عربية ،العراق- بغداد ،١٩٨٥ .
٢٣- علم اللغة العربية، د. محمود فهمى حجازي ،ط/١ ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – مصر ، د.ت .
٢٤- فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ط/١، المكتبة العصرية – بيروت، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.
٢٥- في فلسفة اللغة، كمال يوسف الحاج ،ط/٢، دار النهار – بيروت ، ١٩٧٨م .
٢٦- الكتابة العربية مهاراتها وفنونها، د. محمد رجب النجار ،ط/١ ،دار العروبة للنشر والتوزيع – الكويت ،١٤٢٢هـ -٢٠٠١م .
٢٧- اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج ،د. سمير شريف استيتية ،ط/٢، عالم الكتب الحديث – الأردن ،١٤١٩هـ - ٢٠٠٨م .
٢٨- اللغة ، فندريس، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ،ومحمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٠م .
٢٩- اللغة والتفكير، د. حسن مرضي حسن، ط/١ ،الاولى للنشر والتوزيع – سوريا، د.ت .
٣٠- اللغة والفكر والعالم، د. محي الدين محسب، ط/١ ، الشركة المصرية العالمية للنشر ،١٩٩٧م .
٣١- مجمع البيان ،الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) ،ط/١، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت – لبنان،١٤١٥ - ١٩٩٥ م.
٣٢- مدخل الى اللسانيات، د. محمد محمد يونس ،ط/١ ،دار الكتاب الجديد المتحدة – ليبيا ،٢٠٠٤م .
٣٣- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) تحقيق : فؤاد علي منصور، ط١/ ،دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٩٩٨م .
٣٤- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ، د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم، ط/١ ،دار الفضيلة - القاهرة ،د.ت.
٣٥- معرفة اللغة ،جورج يول، ترجمة، د. محمد فراج ،دار الوفاء – مصر ،١٩٩٩م .
٣٦- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون: تحقيق ،د. علي عبد الواحد وافي ،ط٣/ ،دار النهضة المصرية ،١٩٧٩م .
٣٧- مناهج البحث في اللغة ، د. تمَّام حسَّان ، ط/ ٢ ، دار الثقافة ـالدار البيضاء ـ المغرب ، ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م .

٣٨- مناهج علم اللغة من هرمان باول الى نعوم جومسكي ،بريجيته بارتشت، ترجمة د. سعيد بحيري ،ط/١ ،مؤسسة المختار- مصر ،١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م .

٣٩- نظرية اللغة في النقد العربي، د. عبد الحكيم راضي ،ط/١ ،المجلس الاعلى للثقافة – مصر ،٢٠٠٣م .

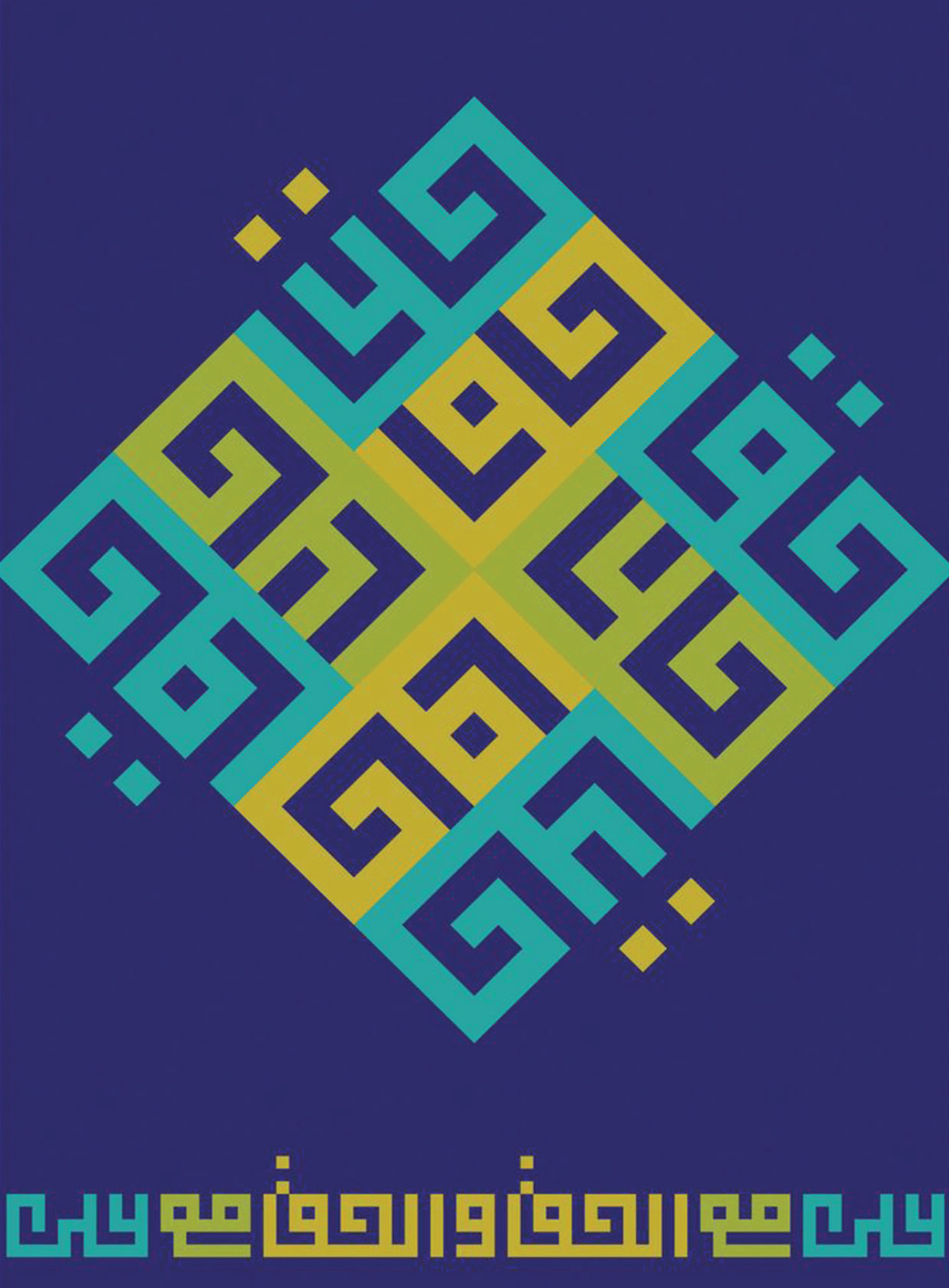

١٤٢٨